



العدد الثاني والأربعون – 10 / نوفمبر 2017

فهرس المواضيع

عنوان البحث	اسم الباحث
ديناميكية التنمية العمرانية المستدامة في تنظيم مدن المستقبل.	* محمد كريم إبراهيم الدليمي، ** احمد محمد جهاد الكبيسي
بعض الآثار الاجتماعية والثقافية الإيجابية للمشروعات الصغيرة - دراسة لعينة من أصحاب المشروعات بمدينة البيضاء - ليبيا.	عمر موسى عمر بوحريه
مناسبة اسم الله العليم عند ختمه آيات الذكر الحكيم (من خلال سورة البقرة) وهو ضمن سلسلة مناسبة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في ختام آيات القرآن الكريم.	الشيباني عياد عريبي
Two species of Meloidae: Coleoptera fauna of Al-Jabal Al- Akhder Libya.	Youssef Mousa Zaied
الابعاد الاجتماعية والاقتصادية والقانونية لظهور العشوائيات في المجتمع الليبي - دراسة ميدانية على أرباب الأسر القاطنة بالأحياء العشوائية بمدينة المرج.	نبيل عيسى جبريل موسى
الموضع الذي يشغله الزركونيوم في سبائك (النيوديميوم - حديد - بورون) المصبوبة.	* وسام أحمد زيارة، ** فتح الله اليمني، ** سامح أحمد نجم
الموظف الفعلي وما يميزه في القانون الليبي - دراسة مقارنة.	مفتاح خليفة عبدالحמיד
دراسة تأثير استخدام السماد المركب (NPK) على نمو نبات الطرطوفة.	* عمران علي محمد، ** عبدالحفيظ عبدالرحمن موسى
أثر رأس المال الفكري في تحقيق ريادة الأعمال - دراسة ميدانية على العاملين بمستشفى الجلاء بنغازي.	* فوزي سعد نجم البدري، ** رجعة المبروك الفاخري، *** عبد الغني محمد سعد الدرسي
Comparative study between using QuantiFERON, Acid Fast Bacilliand chest X-ray in diagnosis of Mycobacterium tuberculosis infection in AL-Mansoura Hospital - Libya.	Marfoua. S. Ali ¹ , Salema R.M Qowaider ² , Wesam, M. Emhrib ² & El-Mabrouk, MA ¹

د. صلاح الأمين عبدالله

رئيس تحرير مجلة العلوم والدراسات الإنسانية

مناسبة اسم الله العليم عند ختمه لآيات الذكر الحكيم (من خلال سورة البقرة) وهو ضمن سلسلة مناسبة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في ختام آيات القرآن الكريم

د. الشيباني عياد عريبي

أستاذ محاضر بكلية الشريعة والقانون - قسم الفقه وأصوله - جامعة السيد محمد بن علي السنوسي
الإسلامية - ليبيا

الملخص :

هذا البحث هو ضمن سلسلة دراسات يُعنى بدراسة ختام آيات القرآن الكريم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى في ختام الآيات ومناسبة ختام الآية بها. والجدير بالذكر أنه حينما يتكلم المتكلم -واعظا أو ناصحا أو غير ذلك- يختم بعض كلامه بكلمات فيها مقاصد وفهوم؛ قد يقصد بها التهديد، وقد يقصد الترغيب، وقد يقصد معاً كأن يقول القائل: "افعل كذا وكذا وإنني -هنا- أتابعك وأراقبك"؛ فإنه سيجتهد قدر المستطاع في اتقان ما طلب منه فعله، إما خوفاً وإما رغبة، أو هما معاً، أو لشيء آخر، وهذه السلسلة من الأبحاث تهدف لذكر مثل هذه المعاني المقصودة والمفهومة والمستنبطة من هذا الختام بأسماء الله وصفاته، وكل بحث مقسم على حسب عدد الآيات المقصودة بالدراسة في كل سورة ورد فيها ذلك الختام، وهنا قسمت الآيات في سورة البقرة في مبحثين؛ الأول: ويشتمل على الآيات التي ختمت باسم الله "العليم" الغير مقترن بغيره، في ثمان آيات، والثاني: يشتمل على الآيات التي ختمت باسم الله "العليم" المقترن بغيره، في ثلاث عشرة آية، وخاتمة.

Abstract:

This research is part of a series of studies on the study of the conclusion of the verses of the Quran with the names of God and the highest qualities at the end of the verses and the occasion of the conclusion of the verse.

It is worth mentioning that when a speaker speaks - a sermon, a sermon, or otherwise - he ends some words with words of intent and understanding; he may mean the threat, and he may mean to encourage, and may mean both: , And it will strive as much as possible in the perfection of what he was asked to do, either fear or desire, or both together, or something else, and this series of research aims to mention such meanings intended and understandable and derived from this conclusion the names of God and his attributes, and each research is divided by number The verses intended to study in each Surat where the conclusion, and here are divided verses in Surat Al-Baqarah in m Gesan; I: It includes verses that sealed the name of God "Alim" of others associated with the others, with eight verses, and the second includes verses that sealed the name of God "Alim" associated with otherwise, in thirteen verse, and a conclusion.

مقدمة

الحمد لله القائل: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: 113]، والصلاة والسلام عبده ورسوله القائل: ((إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ))⁽¹⁾، وبعد:

فإن العلم يشرف ويعظم بمعلومه، فكلما كان المعلوم عظيماً كان العلم شريفاً وعظيماً، وشرف العالم بشرف ما عنده من العلم، ولا أشرف من العلم بأسماء الله وصفاته. وإن مما يتعلق بأسماء الله وصفاته معرفة ارتباطها بالآية التي ختمت بها، وأنها ما ذكرت إلا لسبب وحكمة ومناسبة، علمناها أو خفيت علينا، ومن ذلك ختم كثير من الآيات بأسماء الله وصفاته، إما مفردة أو مقترنة بغيرها من الأسماء أو الصفات، وتقدمها في موضع وتأخرها في غيره لحكمة وسبب، قال الرازي: ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))⁽²⁾. ولما لأسماء الله الحسنى من فوائد ومناسبات عظيمة عند ختمها لآيات الذكر الحكيم، فقد اخترت أن يكون البحث فيها، وقد عنونت له بـ: ((مناسبة اسم الله العليم عند ختمه لآيات الذكر الحكيم (من خلال سورة البقرة)))، وهو ضمن سلسلة من الدراسات المتعلقة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى التي ختمت بها آيات القرآن الكريم.

منهجية البحث: المنهج الاستقرائي على النحو التالي:

1: ذكر المناسبات المستخلصة من الآية، ومن خلال الكتب التي عُنيت بذلك، وبما فهمته منها، فاتبعت منهج استقراء المناسبات وجمعها من مظانها، ثم مقارنتها ببعضها واستخلاصها في نقاط، مع ذكر بعض النصوص المقتبسة، ليقف القاري عليها، واعتمدت على أهم كتب التفسير التي عُنيت بذكر المناسبات، وبكتب علوم القرآن، وغيرها من الكتب، ككتب العقيدة وعلم المناسبات.

2: أحيانا النص المقتبس لا يصرح فيه بالمناسبة، ولكن يشتمل على معانٍ للأسماء والصفات، وفي طياتها إشاراتٌ عظيمةٌ تدل على المناسبة.

وقسمت البحث على نحو يجمع بين العقيدة والتفسير؛ على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أهمية البحث، وأسباب اختياره، وعنوانه، وخطته، ومنهجيته.

المبحث الأول: مناسبة ختم اسم الله العليم - الغير مقترن - لآيات سورة البقرة، في ثماني آيات.

المبحث الثاني: مناسبة ختم أسماء الله الحسنى المقترنة باسمه العليم لآيات سورة البقرة، في ثلاث عشرة آية.

المبحث الأول: مناسبة ختم اسم الله العليم - الغير مقترن - لآيات سورة البقرة، في ثماني آيات:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

ذكر سبحانه خلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات هائلة، وسعة ملكه سبحانه، إلا أنه لا يخفى عليه شيء، فأثبت لنفسه هذا الخلق العظيم، ثم أتبعه ببيان علمه التام بجميع الأشياء بكل تفاصيلها، دليل على علم الله التام، وفي هذا وعيد وتهديد للمنافقين ومن على شاكلتهم؛ فإنه من كان علمه هكذا فلا عجب أن يرسل الرسل وينزل الكتب، ويأمر بعبادته وحده، قال الطبري: ((إِنَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَسَوَّى السَّمَوَاتِ السَّبْعَ بِمَا فِيهِنَّ فَأَحْكَمَهُنَّ مِنْ

⁽¹⁾ أخرجه أبو داود برقم: (3641)، والترمذي برقم: (3535)، وقال: ((هذا حديث حسن صحيح)). 15/

436.

⁽²⁾ التفسير الكبير. 145/10.

دخان الماء، وأتقن صنعهن، لا يخفى عليه - أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب ما تُبدون وما تكتُمون في أنفسكم))⁽³⁾، وقال المراغي: (((أي إنَّ هذا النظام المحكم لا يكون إلا من لدن حكيم عليم بما خلق، فلا عجب أن يرسل رسولا يوحى إليه بكتاب لهداية من يشاء من عباده يضرب فيه الأمثال بما شاء من مخلوقاته، جلَّ أو حقر، عظم أو صغر))⁽⁴⁾، وقد ذكر السعدي سبب ضرب الأمثال في القرآن وذلك لبيان علم الله وحكمته وقدرته، فقال: ((وكثيراً ما يقرن بين خلقه وإثبات علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك:14]، لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته))⁽⁵⁾، وقد ذهب إلى ما تقدّم من دلالات: الرازي، والخازن، وأبو السعود، والقنوجي، وابن عاشور⁽⁶⁾، وقال ابن عثيمين رحمه الله في دلالة هذا الختام: ((أن نخشى، ونخاف؛ لأنَّ الله تعالى بكلِّ شيءٍ عليمٌ؛ فإذا كان الله عليمًا بكلِّ شيءٍ - حتى ما نخفي في صدورنا - أوجب لنا ذلك أن نحترس ممّا يغضب الله - عزَّ وجلَّ - سواء في أفعالنا، أو في أقوالنا، أو في ضمائر قلوبنا))⁽⁷⁾، الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتِمَّ نَوُّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:95].

المناسبة: ممّا يدلُّ عليه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ما يلي: دلَّ هذا الختام على التهديد والوعيد للمنافقين وغيرهم وتحذيرهم ممّا يضمرونه ويكُونونه في صدورهم، وبأنَّ ظلم اليهود كان بسبب كفرهم بما جاء به محمد ﷺ، قال الطبري: ((فانه يعني جل ثناؤه: والله ذو علم بظلمة بني آدم - يهودها ونصاراها وسائر أهل الملل غيرها - وما يعملون، وظلم اليهود: كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد ﷺ، بعد أن كانوا يستفتحون به وبمبعثه، وجحودهم نبوته وهم عالمون أنَّه نبيُّ الله ورسوله إليهم))⁽⁸⁾، وقال الرازي: ((وأما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فهو كالزجر والتهديد، لأنَّه إذا كان عالماً بالسرِّ والنجوى ولم يمكن إخفاء شيءٍ عنه صار تصور المكلف لذلك من أعظم الصوارف عن المعاصي، وإنَّما ذكر الظالمين لأنَّ كلَّ كافر ظالم، وليس كلَّ ظالم كافرًا، فلما كان ذلك أعمَّ كان أولى بالذكر))⁽⁹⁾، وقال الخازن مثل هذا، ونص على أنه يفيد الوعيد، وأنهم سموا ظالمين لكفرهم، وقال بهذا البقاعي، وأبو السعود، والمراغي، وابن عاشور⁽¹⁰⁾، وابن عثيمين، وقال: ((جواز تخصيص العموم لغرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فخص علمه بالظالمين تهديداً لهم))⁽¹¹⁾.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَلَدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالأَيْتَمَى وَالمَسْكِينِ وَآبِن السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عليمٌ﴾ [البقرة:215].
المناسبة: ممّا يدلُّ عليه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿فإنَّ اللَّهَ بِهِ عليمٌ﴾ ما يلي:

(3) الطبري. جامع البيان. 438/1.

(4) المراغي. تفسير المراغي. 77/1.

(5) السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (38). د.

(6) ينظر: الرازي. التفسير الكبير. 383/2، والخازن. لباب التأويل. 34/1، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 79/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 124/1، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 386/1، ومحمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (الفاتحة - البقرة). 111/1.

(7) محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (الفاتحة-البقرة). 111/1.

(8) الطبري. جامع البيان. 369/2.

(9) الرازي. التفسير الكبير. 608/3.

(10) الخازن. لباب التأويل. 61/1، البقاعي. نظم الدرر. 284/1، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 132/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 99/99، والمراغي. تفسير المراغي. 173/1، و السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (59)، ابن عاشور. التحرير والتنوير. 616/1.

(11) محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (الفاتحة-البقرة). 312/1.

1: وعد بالجزاء والثواب والحث على الإنفاق، وفي هذا كما سبق وعد بالإحصاء والثواب على حسب النية والإخلاص، والكثرة، والقلّة، قال الخازن: ((وما تفعلوا من خير مع هؤلاء أو غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فإن الله به عليم فيجازيكم عليه))⁽¹²⁾، وقال ابن كثير: ((ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: مهما صدر منكم من فعل معروف، فإن الله يعلمه، وسيجازيكم على ذلك أوفر الجزاء؛ فإنه لا يظلم أحدا مثقال ذرة))⁽¹³⁾، وقال ابن عرفة: ((قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ علله بالعلم والمراد لازمه وهو حصول الثواب الجليل عليه))⁽¹⁴⁾، وقد نص على أن المقصود حصول المجازاة، على النفقة سواء كانت قليلة أو كثيرة، والإخلاص فيها من عدم فيجازي كل على حسب إنفاقه وإخلاصه؛ نص على هذا البقاعي، وأبو السعود، والقنوجي، والمراغي، وابن عاشور، وابن عثيمين⁽¹⁵⁾ رحمهم الله، والسعدي وقال: ((﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم عليه، ويحفظه لكم، كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها))⁽¹⁶⁾.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخٍ أَوْهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَاقِبَةَ اللَّهِ هُزُوءًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: التحذير من الظلم ومن مخالفة حدود الله ظاهراً وباطناً، والوعيد بالعقاب لمن خالف ذلك، قال الطبري: ((قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: واعلموا أيها الناس أن ربكم الذي حد لكم هذه الحدود، وشرع لكم هذه الشرائع، وفرض عليكم هذه الفرائض، في كتابه وفي تنزيله على رسوله محمد -ﷺ- بكل ما أنتم عاملوه- من خير وشر، وحسن وسيئ، وطاعة ومعصية- عالم لا يخفى عليه من ظاهر ذلك وخفيه وسره وجهه، شيء، وهو مجازيكم بالإحسان إحساناً، وبالسّيئ سيئاً، إلا أن يعفو ويصفح، فلا تتعرضوا لعقابه وتظلموا أنفسكم))⁽¹⁷⁾، وذكر هذا البقاعي، وأبو السعود والقنوجي، وابن عاشور⁽¹⁸⁾ رحمهم الله، وقال محمد بن صالح: ((تحذير المرء من المخالفة؛ لأنه إذا علم أن الله بكل شيء عليم حذر من مخالفته؛ ولهذا أعقبها بعد الأمر بالتقوى، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾))⁽¹⁹⁾.

2: الترغيب فيما عند الله والوعد بالجزاء والثواب، وأنه لا يضيع من عمل الإنسان شيء، لأن الله يعلمه، وفي هذا طمأنينة للعاملين بالثواب، ولو كان من أعمال القلوب، قال ابن كثير: ((﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية، وسيجازيكم على ذلك))⁽²⁰⁾.

⁽¹²⁾ الخازن. لباب التأويل. 144/1.

⁽¹³⁾ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 572/1.

⁽¹⁴⁾ ابن عرفة. تفسير ابن عرفة. 259/1.

⁽¹⁵⁾ ينظر: البقاعي. نظم الدرر. 216/3: 217، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 216/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 432/1، والمراغي. تفسير المراغي. 130/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 318/2، ومحمد بن

صالح. تفسير القرآن الكريم. (البقرة). 46/3.

⁽¹⁶⁾ السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (100).

⁽¹⁷⁾ الطبري. جامع البيان. 16/5.

⁽¹⁸⁾ ينظر: البقاعي. نظم الدرر. 322/3، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 228/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد

القرآن. 29/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 425/2.

⁽¹⁹⁾ محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (سورة البقرة). 134/3.

⁽²⁰⁾ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 631/1.

3: التنبيه على الإخلاص، والتحذير من الشرك والرياء والنفاق، قال الخازن: ((يعني أن الله تعالى يعلم ما أخفيتم من طاعة ومعصية في سرّ وعلن لا يخفى عليه شيء من ذلك))⁽²¹⁾، وقال المراغي: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) فلا يخفى عليه شيء مما يسره العبد أو يعلنه، وهو لا يرضى إلا التزام حدوده والعمل بأحكامه، مع الإخلاص وحسن النية، حتى يكون الباطن كالظاهر في الخير، ولا يتم ذلك إلا بمراقبة الله في العمل، والإخلاص له في السر والعلن، والعلم بأنه تعالى المطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء))⁽²²⁾.

4: تعليل للأحكام المتقدمة وما يحصل به من إقامة أمور الدنيا والآخرة، قال السعدي: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) فهذا بين لكم هذه الأحكام بغاية الإحكام والإتقان التي هي جارية مع المصالح في كل زمان ومكان))⁽²³⁾.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ أَتَعْبَثُ لَنَا مَلَكًا نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 246].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ما يلي:

1: في تهديد للمخالفين لما أوجبه الله وفرضه، وأن التولي عن القتال ظلم، قال الطبري: ((يقول الله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، يعني: والله ذو علم بمن ظلم منهم نفسه، فأخلف الله ما وعده من نفسه، وخالف أمر ربه فيما سألته ابتداء أن يوجهه عليه، وهذا من الله تعالى ذكره تفرغ لليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله ﷺ، في تكذيبهم نبينا محمداً ﷺ، ومخالفتهم أمر ربهم، يقول الله تعالى ذكره لهم: إنكم، يامعشر اليهود، عصيتم الله وخالفتم أمره فيما سألتموه أن يفرضه عليكم ابتداء، من غير أن يبتدئكم بكم بفرض ما عصيتموه فيه، فأنتم بمعصيته - فيما ابتدأكم به من إلزام فرضه - أخرى))⁽²⁴⁾، وقال ابن عطية: ((ثم أخبر الله تعالى عن قليل منهم أنهم ثبتوا على النية الأولى، واستمرت عزمهم على القتال في سبيل الله، ثم توعد الظالمين في لفظ الخبر الذي هو قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾))⁽²⁵⁾، وقد ذهب إلى ما تقدم ابن كثير، وأبو السعود، والقنوجي، والمراغي، والسعدي⁽²⁶⁾ رحمهم الله.

2: فيه إشارة إلى أنهم ظلموا أنفسهم بسؤالهم إيجاب القتال، وكان الأولى بهم عدم تمني لقاء العدو، وقد تقدم ما يبين هذا من كلام الطبري رحمه الله، قال البقاعي: ((وَاللَّهُ) أي الذي له الإحاطة بكل كمال ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمتولين، هكذا كان الأصل، ولكنه قال: ﴿بِالظَّالِمِينَ﴾ معلماً بأنهم سألوا البلاء، وكان من حقهم سؤال العافية))⁽²⁷⁾.

3: على الإنسان أن يعلم أنه حينما يسأل إيجاب شيء فإنه يكون ظالماً لنفسه، ومصدق ذلك قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: 101]، قال ابن عاشور: ((قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ تذييل، لأن فعلهم هذا من الظلم لأنهم لما طلبوا القتال خيلوا أنهم محبوبون له ثم نكصوا عنه))⁽²⁸⁾.

⁽²¹⁾ الخازن. لباب التأويل. 165/1.

⁽²²⁾ المراغي. تفسير المراغي. 180/2.

⁽²³⁾ السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (103).

⁽²⁴⁾ الطبري. جامع البيان. 305/5: 306.

⁽²⁵⁾ ابن عطية. المحرر الوجيز. 331/1.

⁽²⁶⁾ ينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 665/1، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 240/1، والمراغي. تفسير

المراغي. 217/2، والسعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (108: 109).

⁽²⁷⁾ البقاعي. نظم الدرر. 413/3.

⁽²⁸⁾ ابن عاشور. التحرير والتنوير. 487/2.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 273].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: في خاتم الآية باسم الله العليم بيانٌ بعدم ضياع أي شيء مما ينفقه الإنسان، وأن الله يحصيه ويجازيه عليه خير الجزاء، قال ابن عطية: ((قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وعدٌ محض؛ أي: يعلمه ويحصيه ليجازي عليه وينيب))⁽²⁹⁾، وقال البقاعي: ((ولما ذكر سبحانه وتعالى أخفى مواضع النفقة أشار إلى إخفائها، لا سيما في ذلك الموضع فقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: في أي وقت أنفقتموه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ أي: المستجمع لصفات الكمال ﴿بِهِ عَلِيمٌ﴾ وإن اجتهدتم في إخفائه بإعطائه لمن لا يسأل، بأن لا يعرف، أو بغير ذلك، وذكر العلم في موضع الجزاء أعظم مرغّب، وأخوف مرهّب، كما يتحقق ذلك بامعان التأمل لذلك))⁽³⁰⁾.

2: وفيه ترغيب في التصديق والإنفاق في أوجه الخير، وأن الله سيجازي كلا على حسب نفقته؛ كثيرة كانت أو قليلة، وعلى نيّته وإخلاصه فيها، فعلى العبد أن يتحرى نيّته، قال الخازن: ((يعني أن الله تعالى يعلم مقادير الإنفاق ويجازي عليها؛ ففيه حث على الصدقة والإنفاق في الطاعة))⁽³¹⁾، وقال ابن كثير: ((أي: لا يخفى عليه شيء منه، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة، أحوج ما يكونون إليه))⁽³²⁾، وقال المراغي: ((فلا يخفى عليه حسن النيّة والإخلاص له في العمل، ولا تحرى النفع به وإيتاؤه أحق الناس به، فهو يجازي عليه بحسب هذا، ولا يخفى ما في هذا من الترغيب في الإنفاق، ولا سيما على مثل هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم))⁽³³⁾.

3: وفيه: الحث على الإنفاق في السرّ، إذا لم يكن هناك داع لإعلانها.

4: وفي ذكر العلم موعظة فيها ترغيب وترهيب، قال الرازي: ((ثم لما رغب في هذه الآية في التصديق على الفقراء الموصوفين بهذه الأوصاف الكاملة، وكان هذا الإنفاق أعظم وجوه الإنفاقات أردفه بما يدل على عظمة ثوابه فقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، وهو يجري مجرى ما إذا قال السلطان العظيم لعبده الذي استحسّن خدمته: ما يكفيك بأن يكون عليّ شاهداً بكيفية طاعتك وحسن خدمتك، فإنّ هذا أعظم وقعاً ممّا إذا قال له: إن أجرك واصل إليك))⁽³⁴⁾.

الخلاصة: التنبية على الإخلاص، ودوام مراقبة الله تعالى، وفيه ترغيب وحث على الصدقة في السرّ، والترهيب من ترك الإخلاص.

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْأَلُكُمْ عَنْ الشَّهَدَةِ أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ

(29) ابن عطية. المحرر الوجيز. 370/1.

(30) البقاعي. نظم الدرر. 106/4، وينظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 265/1.

(31) الخازن. لباب التأويل. 208/1.

(32) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 707/1، وينظر: ابن عرفة. ابن عرفة. تفسير ابن عرفة. 323/1، وفتح

البيان. 136/2.

(33) المراغي. تفسير المراغي. 52/3.

(34) الرازي. التفسير الكبير. 70/7.

وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَرَّةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: 282].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله تعالى: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ما يلي:

1: تعليل لقوله: «وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» وأن الأصل في الإنسان الجهل، ولا سبيل إلى الوصول إلى الحق إلا باتباع تعاليم وإرشادات من يعلم الطريق، لأنه إن لم يفعل فسيضل، ويحصل الشر والضرر، وقال الرازي: ((وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) إشارة إلى كونه سبحانه وتعالى عالماً بجميع مصالح الدنيا والآخرة⁽³⁵⁾، وقال ابن كثير: ((قوله: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أي: هو عالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، بل علمه محيط بجميع الكائنات))⁽³⁶⁾، وقال المراغي: ((وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) أي واتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو سبحانه يعلمكم ما فيه صلاح حالكم في الدارين وحفظ أموالكم، ولولا هديه لكم لم تعلموا شيئاً، وهو العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً من الأحكام فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفساد وجلب المصالح لمن اتبع شرعه وهذه.

وجاء ختم الآية بهذه الموعظة الحسنة ليكون معيناً على الامتثال لجميع ما تضمنته من الأحكام- وهذه الآية أطول آية في القرآن وأبسطها شرحاً وأبينها أحكاماً، وفيها مبالغة في التوصية بحفظ المال وصونه من الضياع، ليتمكن المرء من الإنفاق في سبيل الله، والإعراض عما يوجب سخطه من التعامل بالربا وغيره، ومن المواظبة على تقواه التي هي الوسيلة لكل فوز وفلاح⁽³⁷⁾، وبمضمون ما تقدم قال الخازن وأبو السعود⁽³⁸⁾.

2: التحذير والتهديد من مخالفة حدود الله وشرعه، قال الطبري: ((يعني بقوله جل ثناؤه: «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» ، وخافوا الله، أيها المتدانيون في الكتاب والشهود، أن تضاروهم، وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه، ويعني بقوله: «وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» ، ويبين لكم الواجب لكم وعليكم، فاعملوا به «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ، يعني: بكل شيء من أعمالكم وغيرها، يحصيها عليكم، ليجازيكم بها))⁽³⁹⁾، وقال البقاعي: ((وهذا الختم جامع لبشرى التعليم ونذارة التهديد))⁽⁴⁰⁾.

الآية الثامنة: قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَيْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فُلْيُودَ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَنِ قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» [البقرة: 283].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله تعالى: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» ما يلي:

1: التحذير من مخالفة حدود الله، ووجوب مراقبته سبحانه وتعالى، وفيه وعيد وتهديد لمن يخالف شرع الله، ويكتم الشهادة، قال الرازي: ((ثم قال ﷻ: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» وهو تحذير من الإقدام على هذا الكتمان، لأن المكلف إذا علم أنه لا يعزب عن علم الله ضمير قلبه كان خائفاً حذراً من مخالفة أمر الله تعالى، فإنه يعلم أنه تعالى يحاسبه على كل تلك الأفعال، ويجازيه عليها إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرراً))⁽⁴¹⁾، وقال الخازن: ((وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)) يعني من بيان الشهادة وكتمانها وفيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها⁽⁴²⁾، وقال محمد بن صالح:

⁽³⁵⁾ الرازي. التفسير الكبير. 99/7.

⁽³⁶⁾ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 727/1.

⁽³⁷⁾ المراغي. تفسير المراغي. 77/3.

⁽³⁸⁾ ينظر: الخازن. لباب التأويل. 216/1، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 271/1.

⁽³⁹⁾ الطبري. جامع البيان. 93/6.

⁽⁴⁰⁾ البقاعي. نظم الدرر. 160/4.

⁽⁴¹⁾ الرازي. التفسير الكبير. 102/7.

⁽⁴²⁾ الخازن. لباب التأويل. 217/1.

((التحذير من المخالفة بكون الله سبحانه وتعالى عالماً بما نعمل؛ وجه التحذير: تقديم المعمول))⁽⁴³⁾، وكذا قال البقاعي، والقنوجي وابن عاشور⁽⁴⁴⁾ رحمهم الله تعالى.

2: فيه حث على وجوب الالتزام بحدود الله ظاهراً وباطناً، والترغيب فيما عنده من الأجر والثواب جزاء الالتزام بذلك، قال الطبري: ((قوله: «وَأَلَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» فإنه يعني: بما تعملون في شهادتكم من إقامتها والقيام بها، أو كتمانكم إياها عند حاجة من استشهادكم إليها، وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلائيتها «عَلِيمٌ» ، يحصيه عليكم، ليجزيكم بذلك كله جزاءكم، إما خيراً وإما شراً على قدر استحقاقكم))⁽⁴⁵⁾.

3: فيه بيان بأن صلاح الناس في الدنيا والآخرة باتباع شرع الله، وبيان باهتمام الشريعة بالمعاملات وتنظيمها والعناية بها وتبينها كما بينت العبادات، وفي هذا دليل على أن الإسلام جاء لصلاح الدين والدنيا، قال السعدي: ((وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها على حكم عظيمة ومصالح عميمة دلت على أن الخلق لو اهتموا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والمصلحة، وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش))⁽⁴⁶⁾.

المبحث الثاني: مناسبة ختم أسماء الله الحسنى المقتزنة باسمه العليم لآيات سورة البقرة، في ثلاث عشرة آية:

الآية الأولى: قوله تعالى: «قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» [البقرة: 32].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» ما يلي:

1: تسليم الملائكة الأمر لله وتبريهم من أنفسهم، حيث نفوا كما في أول الآية- علمهم بحكمة خلق آدم - ﷺ- وأثبتوا ذلك لله كما في ختام الآية؛ وفي هذا بيان لشدة عبادتهم وحسن تصرفهم، وأنهم لا يفعلون إلا ما فيه طاعة لله رب العالمين، قال الطبري: ((وذلك أنهم نفوا عن أنفسهم بقولهم: «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، أن يكون لهم علم إلا ما علمهم ربهم، وأثبتوا ما نفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ»، يعنون بذلك العالم من غير تعليم، إذ كان مَنْ سِوَاكَ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا بِتَعْلِيمِ غَيْرِهِ إِيَّاهُ))⁽⁴⁷⁾، وقال ابن كثير: ((هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى، ولهذا قالوا: «سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» أي: العليم بكل شيء، الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك، والعدل التام))⁽⁴⁸⁾، وقال المراغي: ((وهذا منهم اعتراف بالعجز عما كلفوه، وإشعار بأن سؤالهم كان سؤال مستفسر، لا سؤال معترض، وفيه ثناء على الله بما أفاض عليهم من العلم مع تواضع وأدب، فكانهم قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا بحسب استعدادنا، ولو كنا مستعدين لأكثر من ذلك لأفضت علينا، ثم أكدوا ما تقدم بقولهم: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»، وفي هذا الجواب منهم إيداناً بأنهم رجعوا إلى ما كان يجب عليهم ألا يغفلوا عن مثله، من التفويض لواسع علم الله وعظيم حكمته، بعد أن تبين لهم ما تبين، وإيماء إلى أن الإنسان ينبغي له ألا يغفل عن نقصانه، وعن فضل الله عليه وإحسانه، ولا يأنف أن يقول لا أعلم إذا لم يكن يعلم، ولا يكتفم الشيء الذي

(43) محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة). 432/3.

(44) ينظر: البقاعي. نظم الدرر. 162/4: 163، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 157/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 128/3.

(45) الطبري. جامع البيان. 100/6.

(46) السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (119).

(47) الطبري. جامع البيان. 495/1: 496.

(48) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 225/1.

يعلم⁽⁴⁹⁾، وقد ذهب إلى ما تقدم من دلالات: الرازي، والخازن، والشوكاني، والبقاعي، وأبو السعود، والقنوجي، وابن عاشور، وابن عثيمين⁽⁵⁰⁾.

2: وجه الاقتران، وتقديم العليم على الحكيم، أن ما يحكم به الله تعالى لا يكون إلا بحكمة، فقد خلق آدم لحكمة، وميزه بالعقل والعلم لحكمة، والقصد من هذا: أن العلم موصوفٌ بالحكمة؛ بمعنى أن الله لا يأمر بشيء - ولا يقضي به - إلا بعلم تامٍّ موصوف بالحكمة، بحيث لا يستقيم الأمر إلا بحكم الله تعالى، قال ابن عرفة: ((الوصف بالحكيم إشارة إلى الوجه الذي اختص به آدم بالعلم دونهم فمعناه: أنت تضع الأشياء في محلها أو يكون المراد الامتنان بالعلم، ودليل العلم وهو الحكمة، لأن الأصوليين عدوها من أسباب العلم))⁽⁵¹⁾، وقال السعدي: ((إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) العليم الذي أحاط علماً بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ((الْحَكِيمُ)) من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترفوا بفضل الله عليهم: وتعليمه إياهم بما لا يعلمون))⁽⁵²⁾.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ [البقرة: 115].

المناسبة: مما يدلُّ عليه ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ ما يلي:

فيه ترغيب وترهيب، قال الطبري ((يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَسِعَ﴾ يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير، وأما قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾، فإنه يعني أنه عليمٌ بأفعالهم لا يغيب عنه منها شيء، ولا يعزب عن علمه، بل هو بجميعها عليم))⁽⁵³⁾، وهذا فيه ترغيب في العمل والوعد بالثواب عليه وعدم ضياعه، والترهيب من سوء العاقبة، قال الرازي: ((فأما قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ في هذا الموضع فكالتهديد، ليكون المصلّي على حذر من التفريط، من حيث يتصور أنه تعالى يعلم ما يُخفي وما يُعلن، وما يخفى على الله من شيء، فيكون متحذراً عن التساهل، ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ أنه تعالى واسع القدرة في توفية ثواب من يقوم بالصلاة على شرطها، وتوفية عقاب من يتكاسل عنها))⁽⁵⁴⁾، وبمثله قال القرطبي، وزاد بأن هذا فيه التيسير ورفع للمشقة والخرج، قال: ((قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ أي يوسع على عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم، وقيل: ﴿وَسِعَ﴾ بمعنى أنه يسع علمه كل شيء))⁽⁵⁵⁾، وقال الشوكاني: ((﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ فيه إرشاد إلى سعة رحمته، وأنه يوسع على عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم، وقيل: ﴿وَأَسِعَ﴾ بمعنى: أنه يسع علمه كل شيء، كما قال: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [طه: 98])⁽⁵⁶⁾.

⁽⁴⁹⁾المراغي. تفسير المراغي. 84/1.

⁽⁵⁰⁾ينظر: الرازي. التفسير الكبير. 425/2، والخازن. لباب التأويل. 37/1، والشوكاني. فتح القدير. 77/1، والبقاعي. نظم الدرر. 247/1: 248، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 85/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 129/1، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 415/1: 416، ومحمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (الفتحة- البقرة). 121/1: 122.

⁽⁵¹⁾ابن عرفة. تفسير ابن عرفة. 97/1.

⁽⁵²⁾السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (48).

⁽⁵³⁾الطبري. جامع البيان. 537/2، وينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 396/1.

⁽⁵⁴⁾الرازي. التفسير الكبير. 22/4.

⁽⁵⁵⁾القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 84/3.

⁽⁵⁶⁾الشوكاني. فتح القدير. 153/1.

وقال البقاعي: ((فهو يعطي المتوجه إليه على قدر نيته، بحسب بلوغ إحاطته وشمول علمه وقدرته))⁽⁵⁷⁾.

وقال البقاعي: قال الحرالي: ((ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم، والقدرة، وكمال العلم، وإفاضة الخير، والنعمة لمقتضى كمال الرحمة))⁽⁵⁸⁾.

وقال أبو حيان في سبب الجمع بين «وَسِعَ» و «عَلِيمٌ»: ((وجمع بينه وبين «عَلِيمٌ» على سبيل التأكيد، وقيل: واسع القدرة، وقيل: معناه يوسع على عباده في الحكم، دينه يسر، «عَلِيمٌ» أي: بمصالحهم، أو بنيات القلوب التي هي ملاك العمل، وإن اختلفت ظواهرها في قبلة وغيرها، وهذه التفسير على قول من قال: إن الآية نزلت في أمر القبلة))⁽⁵⁹⁾.

مما تقدم يتبين الآتي:

1: أن مدار الآية في أحد أمرين ولا مانع من إرادتهما معاً؛ الأول: يتعلق بمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وتكون الآية بذلك في سياق التي قبلها، ومناسبة الختام على هذا السياق فيه وعيد وتهديد؛ بأن الله أحاط بكل شيء؛ فلا شيء خارج ملكه، والكل في قبضته سبحانه، وأنه أحاط بكل شيء علماً فلا يخفى عليه شيء. والثاني: يتعلق بالصلاة والقبلة؛ حيث ذكر في الآية أن كل شيء في ملكه وأنه أينما توجه العبد فثم وجهه سبحانه، وختمها بما يناسب المقام «إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلِيمٌ».

والآية في سياق التي قبلها في الصلاة، فدل هذا على أن قوله: «فَأَيْنَمَا تُولَّوْا» المقصود به التوجه في القبلة، وناسب المقام أن يختم بقوله: «وَسِعَ عَلِيمٌ» دلالة على الرحمة والتيسير على الأمة؛ وأنه لا يكلفها- سبحانه- بما تعجز عنه أو يشق عليه، وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: ((رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يُصَلِّي عَلَى رَأْسِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ))⁽⁶⁰⁾.

2: ترغيب للعاملين بالعطاء الكثير والثواب الجزيل، وتهديد للمتكاسلين ليرتدعوا.

3: التيسير ورفع الحرج، وهذا من الأسس العظيمة في هذه الشريعة.

4: سعة أفضال الله على عباده بالتوسيع عليهم في دينهم ودنياهم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: 127].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ما يلي:

الختم بما يدل على سمع الله لخلقه له معان كثيرة كما سبق⁽⁶¹⁾؛ منها التخويف والترهيب، والتهديد، ليكون بذلك داعياً وباعثاً للمراقبة والانتباه في كل ما يفعله الإنسان، فحينما يريد أن يتكلم بشيء يعلم أن الله يسمعه فيدعوه ذلك للخوف، ومن ذلك قوله تعالى: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُنُّبُ مَا قَالُوا» الآية. [آل عمران: 181].

وكذلك لا يخفى ما فيهما من الدلالة على الطمع فيما عند الله من الثواب؛ فحينما يعلم أن ربه يسمعه ويعلمه يبادر ويثابر، ولذلك ختم إبراهيم - عليه السلام - دعاءه بقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» طمعاً فيما عند الله تعالى من الخير والثواب⁽⁶²⁾، وهو تعليل لدعائهما عليهما السلام.

(57) البقاعي. نظم الدرر. 2/ 124،

(58) البقاعي. نظم الدرر. 2/ 124، والحرالي. تراث أبي الحسن الحرالي. ص: (255).

(59) أبو حيان. البحر المحيط. 1/ 579.

(60) أخرجه البخاري في أبواب تقصير الصلاة. باب: صلاة التطوع على الدابة وحيثما توجهت به. رقم: (1093). 2/ 44، ومسلم. كتاب: صلاة المسافرين وقصرها. باب: جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت به.

رقم: (701). 1/ 488.

(61) ينظر: البحث ص: (22، 23).

(62) ينظر: الطبري. جامع البيان. 3/ 73.

قال الرازي: ((إنما عَقِبَ هذا الدعاء بقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» كأنه يقول: تسمع دعاءنا وتضرعنا، وتعلم ما في قلبنا من الإخلاص، وترك الالتفات إلى أحد سواك، فإن قيل: قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» يفيد الحصر وليس الأمر كذلك، فإن غيره قد يكون سميعاً، قلنا: إنه سبحانه لكمال في هذه الصفة يكون كأنه هو المختص بها دون غيره))⁽⁶³⁾، وقد أشار الرازي بهذا الختام إلى قوة إيمان الأنبياء وتوحيدهم لله، وشدة يقينهم وحسن ظنهم، وعبادتهم، وقال أبو السعود: ((والجملة تعليلٌ لاستدعاء التَّقَبُّلِ، لا من حيث إنَّ كونه تعالى سميعاً لدعائهم، عليمًا بِنِّيَّاتهم، مصحَّحٌ للتَّقبُّلِ في الجملة، بل من حيث إنَّ علمه تعالى بصحة نياتهم وإخلاصهم في أعمالهم مستدعٍ له بموجب الوعد تفضلاً، وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهم بمضمونها، وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى لإظهار اختصاص دعائهم به تعالى، وانقطاع رجائهم عما سواه بالكلية))⁽⁶⁴⁾، وقال القنوجي: ((«إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ» لدعائنا «الْعَلِيمُ» بنياتنا))⁽⁶⁵⁾.

الخلاصة: ممَّا تقدَّم يتبيَّن أمورٌ، منها: بيان حال أفضل الخلق وهم الأنبياء وتوحيدهم لله ربِّ العالمين، وإخلاصهم، ثم ملازمتهم الدعاء والضراعة لله بأن يتقبل منهم، وهذا فيه توجيه قرآني من رب العالمين بالتأسي بالأنبياء عليهم السلام، وأنَّ النَّاسَ فقراء إلى الله ﷻ، لأنَّه إذا كان هذا حال إبراهيم-عليه السلام- وهو خليلُ الله ومن أولي العزم من الرسل فكيف بغيره؟ فغير الأنبياء أحوج بطلب التَّقبُّل وطلب المغفرة، لكثرة ذنوبهم، وقلة عبادتهم.

الآية الرابعة: قوله تعالى: «فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: 137].

المناسبة: ممَّا يدلُّ عليه ختم الآية بقوله: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ما يلي:

1: فيه دلالة على الإنسان أن يراقب الله في السر والعلن، وأن يكون عمله لله ظاهراً وباطناً، ففي هذا وعد بالجزاء والثواب، ووعد بالعقاب، قال ابن عرفة: ((هو وعدٌ ووعدٌ))⁽⁶⁶⁾، وقال الخازن: ((«وَهُوَ السَّمِيعُ» لأقوالهم «الْعَلِيمُ» بأحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به، ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد، والغل وهو مجازيهم، ومعاقبهم عليه))⁽⁶⁷⁾، وقال محمد بن صالح: ((إنَّه يجب على المرء مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع أقواله؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى سامع لها، لا يخفى عليه الصوت مهما خفي؛ بل هو يعلم -عزَّ وجلَّ- ما توسوس به نفس الإنسان - وإن لم يتكلم به)) ثم قال: ((مراقبة الله سبحانه وتعالى في السر، والعلن؛ وذلك؛ لأنَّ مقتضى اسمه الكريم: العليم أنه يعلم كلَّ شيء))⁽⁶⁸⁾.

2: فيه دليل على إحاطة الله بكل شيء، ولذلك حصل كما أخبر الله به نبيه ﷺ من الحفظ والعناية، بل وبالنصر على الكافرين جميعاً وخذلانهم، قال السعدي: ((فلهذا وعد الله رسوله، أن يكفيه إياهم، لأنَّه السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، العليم بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك، كفاك الله شرهم، وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد، ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع، فوقع طبق ما أخبر))⁽⁶⁹⁾.

⁽⁶³⁾ الرازي. التفسير الكبير. 52/4، وينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 233/1: 234.

⁽⁶⁴⁾ أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 161/1.

⁽⁶⁵⁾ القنوجي. فتح البيان. 281/1.

⁽⁶⁶⁾ ابن عرفة. تفسير ابن عرفة. 176/1.

⁽⁶⁷⁾ الخازن. لباب التأويل. 85/1.

⁽⁶⁸⁾ محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم.. (البقرة). 95/2: 96.

⁽⁶⁹⁾ السعدي. تفسير الكريم الرحمن. ص: (68).

3: لما وعد الله بنصرة نبيه بقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ ختم بما يبين ذلك من إحاطة الله بما يقولونه وما يضمرونه، فلا يخفى عليه شيء، وهذا ليس مجرد إخبار فقط، بل هو - كما سبق - متضمن لأمرين: الوعد بالنصر، والوعيد بالعقاب لمن يشاقق الرسول ﷺ، قال الرازي: ((ثم إنه تعالى لما وعده بالنصرة والمعونة أتبعه بما يدل على أن ما يسرون وما يعلنون من هذا الأمر لا يخفى عليه تعالى فقال: وهو السميع العليم وفيه وجهان؛ الأول: أنه وعيد لهم والمعنى أنه يدرك ما يضمرون ويقولون، وهو عليم بكل شيء، فلا يجوز لهم أن يقع منهم أمر إلا وهو قادر على كفايته إياهم فيه، الثاني: أنه وعد للرسول - عليه السلام - يعني: يسمع دعائك ويعلم نيتك، وهو يستجيب لك ويوصلك إلى مرادك))⁽⁷⁰⁾.

وقد قال بما تقدم من مناسبات أو بمضمونها الطبري، والبقاعي، وأبو السعود، والقنوجي، والمراغي، وابن عاشور⁽⁷¹⁾ رحمهم الله تعالى.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158].
المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: فيه دلالة على الترغيب في الخير، والإنفاق والإكثار من الحج والعمرة وغيرهما من أعمال الخير، فرضاً ونفلاً، ووعد سبحانه بالعتاء الجزيل أكثر مما يعمل العبد، وفي هذا دعوة للتنافس في فعل الخير؛ لأن العبد سيلقى الله شاكراً عليمًا، قال السمعاني: ((والشكر من الله: أن يعطي فوق ما يستحق العبد))⁽⁷²⁾، وقال الرازي: ((ويحتمل أنه يريد أنه عليم بما يأتي العبد فيقوم بحقه من العبادة والإخلاص، وما يفعله لا على هذا الحد، وذلك ترغيب في أداء ما يجب على شروطه، وتحذير من خلاف ذلك))⁽⁷³⁾، وقال أبو السعود: ((فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ أي مجاز على الطاعة، عبّر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان إلى العباد، ﴿عَلِيمٌ﴾ مبالغ في العلم بالأشياء، فيعلم مقادير أعمالهم، وكيفياتها، فلا ينقص من أجورهم شيئاً))⁽⁷⁴⁾.

2: فيه ترهيب وتخويف لمن يدسّ نفسه بالنيات الفاسدة، ومن يقصد بأعماله غير الله؛ فهو تحذير من الشرك والرياء، وأن هذه الأعمال من الحج والعمرة وغيرها وإن كانت ظاهرها وجه الله، إلا أن النية قد يشوبها شيء، فنبه الله - سبحانه - على تعهدها وإصلاحها، والحذر من سوء النية، وأن الثواب والجزاء بالنيات، قال البقاعي: ((قال الحرالي: ((وقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ فيه تحذير من مداخل الرياء والسمعة في إجزال النفقات، لما يغلب على النفس من التباهي في إظهار الخير)). انتهى، ولما تقدم أن بعض أهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق وختم ما أتبعه له بصفتي الشكر والعلم ترغيباً وترهيباً بأنه يشكر من فعل ما شرعه له، ويعلم من أخفاه وإن دق))⁽⁷⁵⁾.

3: فيه دلالة على الإحصاء وعدم إضاعة شيء مهما ظهر أو خفي، أو كثر أو قل، قال البغوي: ((فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾، مجاز لعبده بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنيته، والشكر من الله تعالى: أن يعطي لعبده فوق ما يستحق، يشكر اليسير، ويعطي الكثير))⁽⁷⁶⁾، وقال ابن عطية: ((ومعنى ﴿شَاكِرٌ﴾ أي:

⁽⁷⁰⁾ الرازي. التفسير الكبير. 74/4.

⁽⁷¹⁾ ينظر: الطبري. جامع البيان. 116/3، والبقاعي. نظم الدرر. 193/2، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 168/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 293/1، والمراغي. تفسير المراغي. 226/1، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 742/1.

⁽⁷²⁾ السمعاني. تفسير القرآن. 160/1.

⁽⁷³⁾ الرازي. التفسير الكبير. 139/4.

⁽⁷⁴⁾ أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 181/1، وينظر: القنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 322/1، والمراغي. تفسير المراغي. 28/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 64/2.

⁽⁷⁵⁾ البقاعي. نظم الدرر. 272/2.

⁽⁷⁶⁾ البغوي. معالم التنزيل. 193/1، وينظر: ابن أبي حاتم. تفسير القرآن العظيم. 268/1.

يبدل الثواب والجزاء، «عَلِيمٌ» بالنيات والأعمال، لا يضيع معه لعمل- بر ولا غيره- عمل⁽⁷⁷⁾.

4: اقتران صفتي الشكر والعلم لبيان حصول الثواب الجزيل، والوعد بعدم ضياع شيء من الأعمال، قال السعدي: ((الشاکر والشکور، من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتنل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق، ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملا موفراً، لم تنقصه هذه الأمور، ومن شكره لعبده أن من ترك شيئاً لله أعاضه الله خيراً منه، ومن تقرب منه شبراً، تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً، تقرب منه باعاً، ومن أتاه يمشي، أتاه هرولة، ومن عامله، ربح عليه أضعافاً مضاعفة، ومع أنه شاکر، فهو عليم بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم⁽⁷⁸⁾)). وقال محمد بن صالح: ((وقرن العلم بالشكر لاطمئنان العبد إلى أن عمله لن يضيع، فإنه معلوم عند الله، ولا يمكن أن يضيع منه شيء؛ يعني: إذا علم العامل أن الله تعالى شاکرٌ، وأنه عليمٌ، فإنه سيطمئنُّ غاية الطمأنينة إلى أن الله سبحانه وتعالى سيجزيه على عمله بما وعده به، ويعطيه أكثر من عمله⁽⁷⁹⁾)).

الخلاصة: الترغيب فيما عند الله من الأجر ببيان الثواب العظيم، وأن الله يحفظ لعباده أعمالهم، فلا يضيع منها شيء أبداً.

الآية السادسة: قوله تعالى: «فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: 181].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ما يلي:

1: فيه وعيد وتهديد لمن يحرفون أو يبدلون الوصية بأنه لا يخفى عليه ما يقومون به وما يضمرون من نيات من قصد الإضرار وغير ذلك، وأنه سيجزيهم على هذا، وفي هذا الحث على حفظ الوصية والقيام بها على ما شرع الله تعالى، قال الرازي: ((أما قوله: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فمعناه أنه تعالى سميع للوصية على حدها، ويعلمها على صفتها، فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها⁽⁸⁰⁾)). وفي هذا دلالة على الوعيد، والتحذير من تحريف الوصية أو تبديلها إذا كانت واجبة، وبهذا قال الخازن⁽⁸¹⁾، وقال البقاعي: ((«سَمِيعٌ» أي لما يقوله كل منهما «عَلِيمٌ» بسره وعلنه في ذلك، فليحذر من عمل السوء وإن أظهر غيره ومن دعاء المظلوم فإن الله يجيبه⁽⁸²⁾)). وقال أبو السعود: ((وعيد شديد للمبدلين⁽⁸³⁾)). وقال الفتوجي: ((«إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لما أوصى به الموصي ولقوله «عَلِيمٌ» بتبديل المبدل وفعل الوصي فيجازي عليه الأول بالخير والثاني بالشر⁽⁸⁴⁾)). وقال بهذا الطبري، والمراغي، وابن عثيمين، وابن عاشور⁽⁸⁵⁾ رحمهم الله تعالى، قال السعدي: ((«إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة

(77) ابن عطية. المحرر الوجيز. 230/1.

(78) السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: 73: 74.

(79) محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (سورة البقرة). 185/2: 186.

(80) الرازي. التفسير الكبير. 236/5.

(81) ينظر: الخازن. لباب التأويل. 109/1.

(82) البقاعي. نظم الدرر. 36/3: 37.

(83) أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 197/1.

(84) الفتوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 360/1.

(85) ينظر: الطبري. جامع البيان. 399/3، والمراغي. تفسير المراغي. 66/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 153/2،

ومحمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (سورة البقرة). 311/2.

الموصي ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته، وعليم بعمل الموصي إليه، فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من نيته ذلك، أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصي إليه من التبديل، فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله، هذا حكم الوصية العادلة⁽⁸⁶⁾.

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 224].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: فيه تهديد ووعيد وتحذير من مخالفة حدود الله تعالى، قال الطبري: ((يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله الحالف منكم بالله إذا حلف فقال: والله لا أبر ولا أتقي ولا أصلح بين الناس، ولغير ذلك من قيلكم وأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تقصدون وتبتغون بحلفكم ذلك، ألخير تريدون أم غيره؟ لأنني علام الغيوب وما تضره الصدور، لا تخفى عليّ خافية، ولا ينكتني عني أمر علن فطهر، أو خفي فبطن، وهذا من الله تعالى ذكره تهديد ووعيد، يقول تعالى ذكره: واتقون أيها الناس أن تظهروا بألسنتكم من القول، أو بأبدانكم من الفعل، ما نهيتكم عنه، أو تضرروا في أنفسكم وتعزموا بقلوبكم من الإرادات والنيات بفعل ما زجرتكم عنه، فتستحقوا بذلك مني العقوبة التي قد عرفتكموها، فإنني مطلع على جميع ما تعلنونه أو تسرؤنه⁽⁸⁷⁾، وقد نص على مضمون ما تقدم الشوكاني، والبقاعي، وأبو السعود، والقنوجي، والمراغي⁽⁸⁸⁾ رحمه الله تعالى، وقال محمد ابن صالح: ((ومنها: تحذير الإنسان من المخالفة؛ وجهه: أنه إذا كان الله سميعاً عليمًا فإنك أن تخالف ما أمرك به؛ فإنك إن خالفته بما يُسمع سميعك؛ وبما يُعلم علمك؛ فاحذر الله ⁽⁸⁹⁾)).

2: تعليل للقصد من الحلف ونية الحالف، وفعله وتركه، قال الرازي: ((﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: إن حلفتكم يسمع، وإن تركتم الحلف تعظيما لله وإجلالا له من أن يستشهد باسمه الكريم في الأعراض العاجلة فهو ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم بما في قلوبكم ونيتكم⁽⁹⁰⁾، وكذا قال الخازن⁽⁹¹⁾، وقال السعدي: ((ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لجميع الأصوات ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمقاصد والنيات، ومنه سماعه لأقوال الحالفين، وعلمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر، وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم، قد استقر علمها⁽⁹²⁾)).

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 227].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: فيه دلالة على أن الله لا يحب الطلاق.

2: قيل ختم بصفة السمع لبيان أن هناك كلاما مسموعا وهو الطلاق وهو غير الإيلاء، أي وقع بعده، فالحكم واقع على الطلاق وليس على الإيلاء، وهذا ما نص عليه الرازي، قال: ((قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقتضي أن يصدر من الزوج شيء يكون مسموعاً، وما ذاك إلا أن نقول تقدير الآية فإن عزموا الطلاق وطلقوا فإن الله سميع لكلامهم، عليم بما في قلوبهم، فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد إن الله سميع لذلك الإيلاء، قلنا: هذا

⁽⁸⁶⁾ السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (85).

⁽⁸⁷⁾ الطبري. جامع البيان. 427/4.

⁽⁸⁸⁾ ينظر: الشوكاني. فتح القدير. 264/1، والبقاعي. نظم الدرر. 286/3، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 224/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 8/2، والمراغي. تفسير المراغي. 161/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 380/2.

⁽⁸⁹⁾ محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (سورة البقرة). 92/3.

⁽⁹⁰⁾ الرازي. التفسير الكبير. 425/6.

⁽⁹¹⁾ ينظر: الخازن. لباب التأويل. 156/1.

⁽⁹²⁾ السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (101، 102).

يبعد لأن هذا التهديد لم يحصل على نفس الإيلاء، بل إنما حصل على شيء حصل بعد الإيلاء، وهو كلام غيره حتى يكون فإن الله سميع عليم تهديداً عليه⁽⁹³⁾، وقال ابن القيم: ((سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَإِنَّ الطَّلَاقَ لَمَّا كَانَ لَفْظًا يَسْمَعُ، وَمَعْنَى يَقْصِدُ، عَقِبَهُ بِاسْمِ (السَّمِيعِ) لَمَّا نَطَقَ بِهِ (الْعَلِيمِ) بِمُضْمُونِهِ))⁽⁹⁴⁾.

3: فيه وعيدٌ وتهديدٌ لمن يقوم بهذا القصد المضارة، وتحذير من مخالفة حدود الله ومن المقاصد السيئة، قال أبو السعود: ((فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ)) بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدممة والمقولة التي لا تخلوا عنها الحال عادة «عَلِيمٌ» بنياتهم وفيه من الوعيد على الإصرار وترك الفئنة ما لا يخفى⁽⁹⁵⁾، وقال البقاعي: ((ولما كان المطلق ربما ندم فحمله العشق على إنكار الطلاق رهبه بقوله: «فَإِنَّ اللَّهَ» أي الملك الذي له الجلال والإكرام «سَمِيعٌ» أي لعبارتهم عنه. قال الحرالي: في إشارته إعلام بأن الطلاق لا بد له من ظاهر لفظ يقع مسموعاً - انتهى. «عَلِيمٌ» أي به وبنياتهم فيه. قال الحرالي: ((وفيه تهديد بما يقع في الأنفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الأزواج في أمور لا تأخذها الأحكام ولا يمكن أن يصل إلى علمها الحكام فجعلهم أمناً على أنفسهم فيما بطن وظهر، ولذلك رأى العلماء أن الطلاق أمانة في أيدي الرجال كما أن العدد والاستبراء أمانة في أيدي النساء، فلذلك انتظمت آية تربص المرأة في عدتها بأية تربص الزوج في إيلائه)) انتهى، وبقي من أحكام الإيلاء قسمٌ ثالثٌ ترك التصريح به إشارة إلى أنهم ينبغي أن يكونوا في غاية النزاهة عنه وهو الإصرار على الإضرار⁽⁹⁶⁾، وقال السعدي: ((فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) فيه وعيدٌ وتهديدٌ، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة⁽⁹⁷⁾، وقد ذكر بأن هذا الختام فيه دلالة على التحذير من مخالفة حدود الله: الطبري، والمرافي، وابن عاشور، وابن عثيمين⁽⁹⁸⁾ رحمهم الله.

الآية التاسعة: قوله تعالى: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: 244].

المناسبة: مما يدلُّ عليه ختم الآية بقوله: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ما يلي:

1: فيه ترغيب وحث على إصلاح النية في الخروج للجهاد وغيره، وألا يقول الإنسان خلاف ما يبطن، وهو متضمن للوعيد والتهديد للمنافقين الذين يظهرون أنهم مع المسلمين بكلامهم، ولذلك قال: «سَمِيعٌ» و«عَلِيمٌ» بنياتهم التي تخالف أقولهم ولذلك قال «عَلِيمٌ»، قال الطبري: ((ثم قال تعالى ذكره لهم: «وَأَعْلَمُوا»، أيها المؤمنون، أن ربكم «سَمِيعٌ» لقول من يقول من منافقيكم لمن قتل منكم في سبيلي: لو أطاعونا، فجلسوا في منازلهم ما قتلوا، «عَلِيمٌ» بما تجنه صدورهم من النفاق والكفر، وقلة الشكر لنعمتي عليهم، والآتي لديهم في أنفسهم وأهليهم، ولغير ذلك من أمورهم وأمور عبادي، يقول تعالى ذكره لعباده المؤمنين: فاشكروني أنتم بطاعتي فيما أمرتكم من جهاد عدوكم في سبيلي، وغير ذلك من أمري ونهيي، إذ كفر هؤلاء نعمي، «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» لقولهم، و«عَلِيمٌ» بهم وبغيرهم، وبما هم عليه مقيمون من الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، محيط بذلك كله، حتى أجازي كلا بعمله، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً))⁽⁹⁹⁾، وقال الرازي: ((قال: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أي هو يسمع كلامكم في ترغيب الغير في

⁽⁹³⁾ الرازي. التفسير الكبير. 432/6.

⁽⁹⁴⁾ ابن القيم. جلاء الأفهام. ص: (173).

⁽⁹⁵⁾ أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 224/1.

⁽⁹⁶⁾ البقاعي. نظم الدرر. 293/3: 294.

⁽⁹⁷⁾ السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (101).

⁽⁹⁸⁾ ينظر: الطبري. جامع البيان. 498/4: 499، والمرافي. تفسير المراغي. 161/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير.

387/2، ومحمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (البقرة). 92/3.

⁽⁹⁹⁾ الطبري. جامع البيان. 281/5.

الجهاد، وفي تنفير الغير عنه، وعليم بما في صدوركم من البواعث والأغراض، وأن ذلك الجهاد لغرض الدين أو لعاجل الدنيا⁽¹⁰⁰⁾، وقال ابن كثير: ((وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: كما أن الحذر لا يغني من القدر كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يباعده، بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقين لا يزداد فيه ولا ينقص منه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا فَلَمْ تَدْرِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 168])⁽¹⁰¹⁾، وقال ابن عرفة: ((فيه وعدٌ ووعدٌ))⁽¹⁰²⁾، وقد ذكر ما تقدم أو قريبا منه: القشيري، وابن عطية، والقرطبي، والخازن، والقنوجي، والمراغي⁽¹⁰³⁾.

2: أن المنافق والمرائي والذي يسمع الناس لا يخفى على الله، وفي هذا حث على مراقبة الله تعالى ظاهرا وباطنا، وقال أبو السعود: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) يسمع مقالة السابقين والمتخلفين، بما يضمرونه في أنفسهم، وهو من وراء الجزاء خيرا وشرًا، فسارعوا إلى الامتنال واحذروا المخالفة والمساهلة⁽¹⁰⁴⁾، وقال السعدي: ((ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فأحسنوا نياتكم واقصدوا بذلك وجه الله، واعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئا، ولو ظننتم أن في القعود حياتكم وبقاءكم، فليس الأمر كذلك، ولهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر، فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاها ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك))⁽¹⁰⁵⁾، وقال محمد بن صالح: ((قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لأقوالكم؛ عليم بأحوالكم؛ وختم الله هذه الآية بالأمر بعلمنا بأن الله سميع عليم تحذيرا من المخالفة، وترغيبا في الموافقة؛ فنقوم بما أوجب علينا، ونجتنب ما حرم علينا))⁽¹⁰⁶⁾ وذكر من فوائد الآية قائلا: ((التحذير من مخالفة الشريعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ فإن مقتضى ذلك أن نحذر من مخالفتها؛ لأنه سميع لأقوالنا عليم بأحوالنا، ومنها: الترغيب في موافقة الشرع؛ فإن ذلك لا يضيع عند الله؛ لأنه سميع لأقوالنا عليم بأحوالنا))⁽¹⁰⁷⁾.

الخلاصة: الأمر بإصلاح النية، لأن الأعمال بالنيات؛ فالثواب لمن صلحت نيته، والعقاب لمن فسدت، وهذا حث وترغيب على الإخلاص، وترهيب ووعد على النفاق، والشرك، والرياء.
الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].
المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: أن الله واسع في فضله وعطائه، وعليم بمن يستحق هذا الفضل والعطاء ومنه الملك والإمارة، وهذا دليل على أن الملك قد يعطيه الله لمن لم يطلبه ولم يسع إليه، ولا هو في سلكه، وقال الرازي: ((ثم بين بقوله: ﴿عليم﴾ أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير، عالم بمقادير ما يحتاج إليه في تدبير الملك، وعالم بحال ذلك الملك في الحاضر والمستقبل، فيختار

(100) الرازي. التفسير الكبير. 6/ 498.

(101) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 662/1.

(102) ابن عرفة. تفسير ابن عرفة. 295/1.

(103) ينظر: ابن عطية. المحرر الوجيز. 329/1، والقرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 236/3، والخازن. لباب

التأويل. 177/1، والقنوجي. فتح البيان. 65/2، والمراغي. تفسير المراغي. 210/2.

(104) أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 238/1.

(105) السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (108).

(106) محمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (سورة البقرة). 199/3.

(107) السابق. 200/3.

لعلمه بجميع العواقب ما هو مصلحته في قيامه بأمر الملك⁽¹⁰⁸⁾، وقال السعدي: ((وَاللَّهُ وَسِعَ الْفَضْلَ كَثِيرَ الْكَرَمِ، لَا يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ وَبِرَهْ الْعَالَمِ أَحَدًا عَنْ أَحَدٍ، وَلَا شَرِيفًا عَنْ وَضِيعٍ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ «عَلِيمٌ» بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَضْلَ فَيُضْعُهُ فِيهِ، فَأَزَالُ بِهِذَا الْكَلَامَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ كُلِّ رَيْبٍ وَشَكٍّ وَشَبْهَةٍ لِتَبْيِينِهِ أَنَّ أَسْبَابَ الْمَلِكِ مُتَوَفِّرَةٌ فِيهِ، وَأَنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لَيْسَ لَهُ رَادٌّ، وَلَا لِإِحْسَانِهِ صَادٌّ))⁽¹⁰⁹⁾.

2: فيه رد على من طعن في طالوت بكونه فقيرا، وأنهم أفضل منه حسباً فجاء الختام ردا عليهم بأن الله واسع في فضله وعطائه، يغني ويفقر، ويعطي ويمنع من يشاء، وعليم بمن يستحق فضله وعطاءه ورزقه والملك ومن لا يستحق ذلك، قال الطبري: ((وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ وَسِعَ عَالِمٌ» فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ «وَاللَّهُ وَسِعَ» بِفَضْلِهِ فَيَنْعَمُ بِهِ عَلَى مَنْ أَحَبَّ، وَيُرِيدُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ «عَلِيمٌ» بِمَنْ هُوَ أَهْلٌ لِمُلْكِهِ الَّذِي يُؤْتِيهِ، وَفَضْلِهِ الَّذِي يُعْطِيهِ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ لِعِلْمِهِ بِهِ، وَبِأَنَّهُ لَمَّا أُعْطَاهُ أَهْلٌ: إِمَّا لِلْإِصْلَاحِ بِهِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ يَنْتَفِعُ هُوَ بِهِ))⁽¹¹⁰⁾، وقال الخازن: ((وَاللَّهُ وَسِعَ) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالرِّزْقِ وَالرَّحْمَةِ وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَوَسِعَ فَضْلُهُ وَرِزْقُهُ كُلَّ خَلْقِهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّكُمْ طَعَنْتُمْ فِي طَالُوتَ بِكَوْنِهِ فَقِيرًا وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالرِّزْقِ فَإِذَا فُوضَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ فَفُتِحَ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الرِّزْقِ وَالْمَالِ مِنْ فَضْلِهِ وَسَعَتِهِ))⁽¹¹¹⁾، وقال ابن كثير: ((ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ» أَي: هُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي مَا شَاءَ فَعَلَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ لِعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِخَلْقِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «وَاللَّهُ وَسِعَ عَالِمٌ» أَي: هُوَ وَاسِعُ الْفَضْلِ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ عَالِمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَلِكَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ))⁽¹¹²⁾، وذكر مضمون ما تقدم: الشوكاني، والبقاعي، وأبو السعود، والقنوجي، والمراغي، وابن عثيمين⁽¹¹³⁾.

الآية الحادية عشرة: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256].

المناسبة: مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ خَتَمُ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» مَا يَلِي:

1: فيه تهديد ووعد من المعتقد الباطل كالنفاق، وعدم الإخلاص، والتوجه بالعبادة، بأن الله يسمع كلام المتكلم بالشهادتين، ويعلم ما وقر في القلب من الإقرار والتصديق واليقين بذلك من عدمه، وعلى هذا يكون العقاب والثواب، قال الرازي: ((ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» وَفِيهِ قَوْلَانِ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ قَوْلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَوْلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَفْرِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْإِعْتِقَادِ الطَّاهِرِ، وَمَا فِي قَلْبِ الْكَافِرِ مِنَ الْإِعْتِقَادِ الْخَبِيثِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: رَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ إِسْلَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، فَمَعْنَى قَوْلِهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ لَدَعَائِكَ يَا مُحَمَّدَ بِحِرْصِكَ عَلَيْهِ وَاجْتِهَادِكَ))⁽¹¹⁴⁾، وقد نص على أنه للوعيد والتهديد من مخالفة الباطن للظاهر من النفاق والشرك، وعدم الإخلاص: الطبري،

⁽¹⁰⁸⁾الرازي. التفسير الكبير. 505/6.

⁽¹⁰⁹⁾السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (107).

⁽¹¹⁰⁾الطبري. جامع البيان. 314/5: 315.

⁽¹¹¹⁾الخازن. لباب التأويل. 180/1.

⁽¹¹²⁾ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 666/1.

⁽¹¹³⁾ينظر: الشوكاني. فتح القدير. 303/1، والبقاعي. نظم الدرر. 419/3، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 240/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 72/2، والمراغي. تفسير المراغي. 218/2، ومحمد بن صالح. تفسير القرآن الكريم. (سورة البقرة). 214/3.

⁽¹¹⁴⁾الرازي. التفسير الكبير. 17/7.

والخازن، وابن كثير، وابن عرفة، وأبو السعود والقنوجي، والمراغي⁽¹¹⁵⁾ رحمهم الله تعالى، قال السعدي: ((وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) فيجازي كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى ولمن لم يستمسك بها⁽¹¹⁶⁾، وقال ابن عاشور: ((وقد أشارت الآية إلى أن هذه فائدة المؤمن تنفعه في دنياه بأن يكون على الحق والبصيرة وذلك مما تطلبه النفوس، وأشارت إلى فائدة ذلك في الآخرة بقوله: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» الذي هو تعريض بالوعد والثواب))⁽¹¹⁷⁾.

2: وقيل هو خطاب للنبي ﷺ، حيث كانوا يدعوا أهل الكتاب في العلن، ويرغب في إسلامهم، فاجتمع الدعوة اظاهرة بالكلام، وما حصل في القلب من رغبة، والختم أعم من ذلك، يشمل هذا وما تقدم، قال بهذا الرازي كما تقدم.

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

المناسبة: مما يدل عليه ختم الآية بقوله: «وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ» ما يلي:

1: فيه ترغيب في فضل الله وعطائه، وأنه مهما كان عطاؤه فإنه لا تنقص خزائنه، فهو الواسع سبحانه.

2: فيه ترهيب وتنبيه بأن عطاء الله وفضله وثوابه لا يكون لكل أحد، بل كلٌّ على حسب عمله؛ فهو العليم بالنيات، والمقادير، وأصحابها، وفيه تنبيه بإصلاح النيات والإخلاص لله، قال الرازي: ((يجوز أنه تعالى يضاعف لكل المتقين، ويجوز أن يضاعف لبعضهم من حيث يكون إنفاقه أدخل في الإخلاص، أو لأنه تعالى بفضله وإحسانه يجعل طاعته مقرونة بمزيد القبول والثواب، ثم قال: «وَاللَّهُ وَسِعَ» أي واسع القدرة على المجازاة على الجود والإفضال عليهم، بمقادير الإنفاقات، وكيفية ما يستحق عليها، ومتى كان الأمر كذلك لم يصر عمل العامل ضائعاً عند الله تعالى))⁽¹¹⁸⁾، وقال ابن القيم: ((ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنی مطابقين لسياقها وهما (الواسع العليم)، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطفه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغني، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه «عَلِيمٌ» بمن تصلح له هذه المضاعفة -وهو أهل لها- ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه؛ لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه))⁽¹¹⁹⁾، وقال البقاعي: ((فهو يضاعف لأهل النفقة على قدر ما علمه من نياتهم؛ ولما ختم أول آيات هذه الأمثال بهاتين الصفتين ختم آخرها بذلك إشارة إلى أن سعته قد أحاطت بجميع الكائنات، فهو جدير بالإثابة في الدارين، وأن علمه قد شمل كل معلوم فلا يخشى أن يترك عملاً))⁽¹²⁰⁾، ونص بأنه تنبيه على الإخلاص ونية المنفق: أبو السعود، وأشار إليه: المراغي، والسعدي⁽¹²¹⁾.

(115) ينظر: الطبري. جامع البيان. 423/5، والخازن. لباب التأويل. 191/1، وابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 683/1، وابن عرفة. تفسير ابن عرفة. 313/1، وأبو السعود. إرشاد العقل السليم. 250/1، والقنوجي. فتح البيان في مقاصد القرآن. 100/2، والمراغي. تفسير المراغي. 17/3: 18.

(116) السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص: (110).

(117) ابن عاشور. التحرير والتنوير. 30/3.

(118) الرازي. التفسير الكبير. 40/7.

(119) ابن القيم. التفسير القيم. 158/1.

(120) البقاعي. نظم الدرر. 76/4، وينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 693/1.

(121) ينظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 257/1، والمراغي. تفسير المراغي. 31/3، والسعدي. تيسير الكريم الرحمن.

ص: (115).

الخلاصة: الحث والترغيب على الإنفاق، والوعد عليه بالثواب والجزاء الذي ليس له حدٌ ولا عدٌ، ولا ينقص من خزائن الله شيئاً، لا يعلم مضاعفة ذلك إلا الله تعالى، والسبب في عظم الجزاء هو: مقدار الصدقة، ووقت إخراجها، والحاجة إليها، وإخفاؤها وإبدائها، كلٌ هذا له أثره في القبول والمضاعفة، ومدار هذا كله على الإخلاص، فهو ميزان الأعمال، وقد بين سبحانه للمتقين سعة فضله وإنعامه وعطاءه وكرمه -يعلم المستحق فيعطيه برحمته، وإن منعه فلعلمه وحكمته، ويعلم الذي لا يستحق فيمنعه بعدله، وإن أعطاه فإنما يستدرجه.

الآية الثالثة عشر: قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 268].

المناسبة: مما يدلُّ عليه ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ما يلي:

1: إعطاء الله لعباده هو عن سعة وغنى وعلم بمن يستحق ومن لا يستحق، قال الرازي: ((ختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي أنه واسع المغفرة، قادرٌ على إغنائكم، وإخلاف ما تنفقونه، وهو ﴿عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه ما تنفقون، فهو يخلفه عليكم))⁽¹²²⁾، وقال ابن القيم: ((وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فإنه واسع العطاء، عليمٌ بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله، فيعطي هذا بفضله، ويمنع هذا بعدله، وهو بكل شيء عليم))⁽¹²³⁾، وهذا يدلُّنا على حكمة اقتران هذين الاسمين ومجيئهما على هذا الترتيب، وهو دليلٌ على أن توسعته على عباده - بأنواعهم واختلاف مقاصدهم - تكون بعلم؛ فمن الناس لو وسَّع عليهم لبطروا وضلوا، وهؤلاء يُمنعون، رحمةً من الله بهم، لعلمه بحالهم، ومنهم من يُوسَّع عليهم في الرزق فيشكروا الله على ما أعطاهم، ومنهم من يطغى كما كان حال قارون.

2: إن الشَّحَّ والإمساك ظلُّ سيِّءٍ بالله صاحب العطاء، والذي لا يغيب عنه شيء، قال البقاعي: ((وكلُّ نعمة من فضل؛ ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ﴾ أي المحيط بكل كمال ﴿وَاسِعٌ﴾، لتضمنه معنى حلیم غني، وأتبعه بقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ إشارة إلى أنه لا يضيع شيئاً وإن دقَّ، قال الحرالي: ((وفي إشعاره توهين لكيد الشيطان، ووعدٌ كريم للمفتون بخوف الفقر، وعمل الفحشاء لما علمه من ضعف الأنفس، وسرعة قبولها من الوسواس))⁽¹²⁴⁾ انتهى، فختم آخر آيات الأمثال بما ختم به أولها ترغيباً وترهيباً))⁽¹²⁵⁾، قال أبو السعود: ((﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ قدرةً وفضلاً، فيحقُّ ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه، ﴿عَلِيمٌ﴾ مبالغٌ في العلم، فيعلم إنفاقكم، فلا يكاد⁽¹²⁶⁾ يضيع أجركم، أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل؛ فلا احتمال للخلف في الوعد، والجملة تذييل مقررٌ لمضمون ما قبله))⁽¹²⁷⁾.

3: فيه دلالة على الترغيب في الإنفاق وعدم خوف الفقر، قال الطبري: ((يعني تعالى ذكره ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله، وسعة خزائنه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدقون بها، يحصِّيها لكم حتَّى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم))⁽¹²⁸⁾، وقال الخازن: ((﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ أي: غنيٌّ قادرٌ على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه ﴿عَلِيمٌ﴾، يعني بما تنفقونه لا تخفى عليه خافية))⁽¹²⁹⁾.

4: فيه وعدٌ من الله بأن يوسَّع على المنفقين.

(122) الرازي. التفسير الكبير. 57/7.

(123) ابن القيم. التفسير القيم. 171/1.

(124) الحرالي. تراث أبي الحسن الخراساني المراكشي في التفسير. 468.

(125) البقاعي. نظم الدرر. 92/4: 93، وينظر: المراغي. تفسير المراغي. 41:42/3.

(126) الصواب أن يقال: (فلا يضيع أجركم)، بدون الفعل (يكاد)، لأنه يفيد احتمال حصول الضياع وتعالى الله عن ذلك.

(127) أبو السعود. إرشاد العقل السليم. 262/1.

(128) الطبري. جامع البيان. 575/5.

(129) الخازن. لباب التأويل. 204/1، وينظر: والقنوجي. فتح البيان. 29:30/2، وابن عاشور. التحرير والتنوير. 60/3.

5: فيه دلالة على أن الله إن أعطى فعن سعة وعلم، وإن منع فعن علم كذلك، قال القرطبي: ((والمراد هنا أنه سبحانه وتعالى يعطي من سعة، ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة، وهما اسمان من أسمائه))⁽¹³⁰⁾، وهذا للترغيب والترهيب كما سبق.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختمت ببعثته الرسالات، محمد وعلى آله وصحبه الذين كانوا خير هداة، وبعد:

- فإن مما توصلت إليه ، نتائج قد ذكرت في ثنايا البحث، منها:
- 1- أن المناسبات التي هي من النوع لذيتّ تناوله في البحث- وهو علاقة الأسماء الحسنی والصفات العلی بما في الآية من أحكام -كل المفسرين يذكرونها ويكشفون أسرار ذلك، ومن هؤلاء الشوكاني رحمها الله؛ وهذا لأنه جاء الإنكار على طلب المناسبات.
 - 2- ذهب الرازي وأبو بكر النيسابوري، وأبو بكر بن العربي، والبقاعي، والسيوطي، والفراهي، والطبري إلى جواز طلب المناسبات وعدوا المناسبات للتفسير كالبلاغة للنحو، خلافاً للشوكاني، وأنه ظهر لي باستقراء كثير من المناسبات عنده -أن النوع المتقدم في الفقرة السابقة- يتناوله وهذا يدلنا على أن عنده تفصيلاً في إنكاره.
 - 3- أن آيات الأحكام المختومة بأسماء الله غالباً ما يكون بعدها اسم الله العليم والحكيم، أو العزيز والحكيم، فإن العلم ينفي الجهل، والحكمة تنفي السفه، ليبين أن أحكامه ليست عن سفه ولا جهل، والعزة تدل على نفوذ أحكامه، وأنه لا مردّ لها إلا بإذنه سبحانه.
 - 4- مجيء الأسماء والصفات دائماً بعد لفظ الجلالة "الله"، أو "الرب" ليدل بأن ألوهيته علمٌ وحكمة، ورحمة، ومغفرة، وحلم، وكرم، وغير ذلك من جلال الأسماء والصفات وجمالها، وكذلك ربوبيته سبحانه.
 - 5- أحيانا الكلام المقتبس في البحث لا يصرح فيه بالمناسبة، ولكن يشتمل على معانٍ للأسماء والصفات في طياتها إشارات عظيمة تدل على المناسبة.

تم بحمد الله، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود). أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (ت: 982هـ). نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
2. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. (ت: 1250هـ). تح: أحمد عزو عناية. نشر: دار الكتاب العربي. ط: أولى (1419هـ - 1999م).
3. البحر المحيط في التفسير. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (ت: 745هـ). تح: صدقي محمد جميل. نشر: دار الفكر - بيروت. سنة الطبع: (1420هـ).
4. بدائع التفسير. الجامع لما فسرهُ ابن قيم الجوزية. جمعه: يسري السيد محمد. ط: ثانية. (1431هـ). دار ابن الجوزي، السعودية. الدمام.

القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. 3/329. (130)

5. **التحرير والتنوير** (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (ت: 1393هـ). نشر: الدار التونسية للنشر - تونس. سنة النشر: (1984هـ).
6. **تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي في التفسير**. (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، عروة المفتاح، التوشية والتوفية، نصوص من تفسيره المفقود لسورتي البقرة وآل عمران). الحرّالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التّجيّبي الأندلسي. (ت: 638هـ). تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي. نشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط. ط: أولى. (1418هـ - 1997م).
7. **تفسير القرآن العظيم**. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (ت: 774هـ). تح: سامي بن محمد سلامة. نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: ثانية. (1420هـ - 1999م).
8. **تفسير القرآن**. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي. (ت: 489هـ). تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. نشر: دار الوطن، الرياض - السعودية. ط: أولى. (1418هـ - 1997م).
9. **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي. (ت: 606هـ). نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط: ثالثة. (1420هـ).
10. **تفسير ابن عرفة**. محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله. (ت: 803هـ). تح: جلال الأسيوطي.
11. **تفسير القرآن الكريم (الفاحة والبقرة)**. محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (ت: 1421هـ). نشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض. ط: أولى. (1425هـ - 2004م).
12. **تفسير المراغي**. أحمد بن مصطفى المراغي. (ت: 1371هـ). نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط: أولى. (1365هـ - 1946م).
13. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. (ت: 1376هـ). دار ابن الجوزي. المملكة العربية السعودية - الدمام. ط: رابعة. سنة الطبع: (1431).
14. **الجامع لأحكام القرآن**. (تفسير القرطبي). أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (ت: 671هـ). تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. نشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. ط: ثانية. (1384هـ - 1964م).
15. **جامع البيان في تأويل القرآن**. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري. (ت: 310هـ). تح: أحمد محمد شاكر. نشر: مؤسسة الرسالة. ط: أولى. (1420هـ - 2000م).
16. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المشهور** (صحيح البخاري). محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تح: محمد زهير بن ناصر الناصر. نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). ط: أولى. سنة: (1422هـ).
17. **سنن الترمذي**. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. (ت: 279هـ). تح: أحمد محمد شاكر وآخرون. نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر. طبعة: ثانية. (1395هـ - 1975م).
18. **فتح البيان في مقاصد القرآن**. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي. (ت: 1307هـ). اعتنى به وراجع: عبد الله بن إبراهيم



- الأنصاري. نشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا-بيروت. سنة النشر: (1412هـ - 1992م).
19. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. (ت: 542هـ). تح: عبد السلام عبد الشافي محمد. نشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى. (1422هـ).
20. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ،** (صحيح مسلم). مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ). تح: محمد فؤاد عبد الباقي. نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
21. **معالم التنزيل في تفسير القرآن.** (تفسير البغوي). أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي. (ت: 510هـ). تح: عبد الرزاق المهدي. نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط: أولى. (1420 هـ).
22. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.** إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي. (ت: 885هـ). نشر: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.